«القضية 6008» والدراما البوليسية:

عدالة القضاء في مواجهة الجشع المادي

دمشق ـ «القدس العربي»

ـ من أنور بدر:

ربما يكون المخرج غزوان بريجان من أوائل الذين حاولوا أن يشقوا لأنفسهم طريقاً مستقلاً داخل الدراما الاجتماعية المعاصرة، باضافة الصفة البوليسية لها، أي أننا أمام قضية جرمية وملابسات غامضة وقضاة، ورغم يقيني بأن المخرج بريجان لم يدر بخلده قط أن ينافس أو يقلد المسلسلات البوليسية الغربية، الا أنه نجح في اضافة عناصر تشويق واثارة الى الدراما المعاصرة، شكلت محفزاً للمتابعة وسط الزحمة الرمضانية الراهنة.

ويلاحظ من يتابع أعماله السابقة في «كلاكيت، دائرة الاتهام، الرحيل الى الوجه الآخر» أنه لم يطور من الجرعة البوليسية في مسلسله الجديد «القضية 6008»، ولم يقدم لنا ملاحقة أو لقطات أكشن، بل كانت الدراما الاجتماعية المعاصرة هي المسيطرة على هذا العمل الذي كتب له السيناريو والحوار عبد الله عباسي، عن قصة واقعية كما يقول.

تتوزع الحبكة الدرامية في هذا العمل على عدة محاور انسانية وحياتية، تتسلل اليها كاميرا المخرج بالتوازي مع مجريات التحقيق وملابسات جريمة القتل التي ذهب ضحيتها المليونير فهمي، فاذا كانت الشكوك تدور حول شركائه من التجار وصولاً الى زوجته الثانية سوسن مروراً بالسكرتير وليد، فان المخرج يحاول من خلال ذلك فضح المافيات المالية وصراعاتها بل جشعها المادي في مواجهة الأخلاق والقانون وكل المنظومات الاجتماعية، فهذه الصراعات تتصف بالقسوة، ولا تعرف حدوداً للطمع ولا رادعاً من الأخلاق.

يؤدي الممثل القدير عصام عبه جي دور المليونير «فهمي»، وقد توفيت زوجته الأولى عن ولد وحيد «سامح» نضال سيجري، فيما يرزق الأب من زوجته الثانية سوسن بولدين، تحاول الأم أن تخرج سامح من حياتهما مدعية أنه يحاول الاستئثار بكامل أموال أبيه بما في ذلك الشركة والمصنع، وهو ما يتحول الى ادعاء واتهام اثر مقتل الوالد، وأثر ذلك في علاقة سامح مع شقيقته «هديل» نديين تحسين بيك، التي تقع ضحية تعلقها بالأخ الأكبر، ومؤامرة الوالدة بشأن الارث.

المحور الثاني في هذا العمل يتعلق بعائلة القاضي «عبد الجليل الزركلي» سليم صبري المكافح والشريف الذي أصبح القاضي المدني الأول في العاصمة دمشق، وزوجته فادياً خطاب امرأة بسيطة جداً، اكتفت من التعليم بشهادة الابتدائية، ولكنها وبنفس الوقت امرأة مكافحة وقد ربت أولادها السبعة على الصدق والمحبة.

في هذا العمل تبرز التناقضات والفوارق الطبقية والاجتماعية من خلال التباينات في أوضاع الأسر الاقتصادية وعلاقاتها، وما يعترض كل منها من هموم ومشاكل، في هذا العصر الذي تضخمت فيه قيم الاستهلاك وعلاقاته، حتى أصبح الاقتصاد هو العامل المؤثر في حياتنا السياسية.

الجانب الآخر في كل أعمال بريجان تقريباً يتجلى من خلال نظرته لمؤسسة القضاء، وتأكيده على شرف المهنة والسعي لتحقيق العدل والتضحية بالنفس في سبيل ذلك، مع أن هذه النظرة تبدو رومانسية الى حد بعيد في مجتمع بات الهم الأساسي للصناعة الدرامية فيه هو فضح الفساد وآليات الافساد التي لن يكون القضاء بعيداً عنها.

فالوضع الاقتصادي هو العامل المؤثر في البُنى الاجتماعية أكثر مما تؤثر الأخلاق وتربية الأم أو نزاهة الأب، لذلك لم تلبث أسرة القاضي «عبد الجليل الزركلي» أن تنهار من داخلها، نتيجة الضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي تتعرض لها، وهي بذلك تشير الى انهيار جيل ومنظومة من القيم والمبادىء والسلوكيات التي ألتهمتها آلية الاستهلاك المتزايدة، ومنظومة قيم الربح وسلوكيات السوق التنافسية المدمرة.

في هذا العمل نتابع «عبد الحكيم قطيفان» في دور تاجر يسعى الى الربح، حتى لو كان عن طريق الفساد والافساد، كما رأينا «زهير رمضان» في دور العقيد نزار حمود رئيس فرع الأمن الجنائي، بينما يمثل «وليد العاقل» دور مساعده النقيب هاني، ويحاول بريجان تصوير الأجهزة الأمنية في حالة مثالية تسعى دائماً لاظهار الحقيقة واحقاق العدل، بل أكثر من ذلك يسعى لتصوير الجانب الانساني في شخصية رجل الأمن، حبه للمهنة، اخلاصه الوظيفي، دفاعه عن القيم والشرف والحق.

بالمقابل نلاحظ أن سوس أرشيد «منى» التي أحبت طالباً في السنة الرابعة ما زالت تتعرض للضرب من قبل شقيقتها الكبرى التي ترفض مبدأ الحب، أما أمية ملص «نذيرة» وهي الابنة الكبرى للقاضي التي درست الصيدلة وتزوجت من تاجر يطمح للاستفادة من سمعة والدها القاضي وعلاقاته، الا أن ظنه خاب في ذلك.

مجموعة من العلاقات والخطوط الدرامية الصغيرة ضمن المجتمع، وفي بنية الأسرة، كيف تتطور مع ضغط الحاجات المادية، وتغير منظومة القيم والأخلاقيات الحاكمة؟ حالات الضعف والانهيار، وعلاقات الآباء بالأبناء، سلوك المافيات المالية، الفساد في مجتمعنا، دور الأجهزة الأمنية والقضائية، محاور نتابعها مع وجوه درامية أليفة لنا، وعبر كاميرا مدربة ولقطات حساسة، قد نتفق مع المنحى الأيديولوجي أو نختلف، لكننا بالتأكيد سوف نبقى مدفوعين بعناصر الاثارة والتشويق، عناصر الحبكة البوليسية، لمعرفة من القاتل في النهاية، وربما لا يكون مهماً معرفة ذلك، لأننا بالتأكيد لن نستطيع فصل الدوافع الفردية عن الحاضنة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعكس ما يجري في المجتمع وبكل المستويات.

سوسن أرشيد، فاديا خطاب، نسرين الحكيم في لقطة من المسلسل

بطاقة العمل

المسلسل: القضية 6008

اخراج: غزوان بريجان

قصة وسيناريو وحوار: عبد الله عباسي

المخرج المساعد: وليد العاقل

مدير التصوير: شكيب مصطفى

صوت: محمد كريم

مدير الانتاج: غازي العماري

مونتاج: خالد حلمي

انتاج: شركة العقاد للانتاج والتوزيع الفني

المثلون : سليم صبري، فاديا خطاب، زهير رمضان، عبد الحكيم قطيفان، مظهر الحكيم، أمل عرفة، نادين خوري، نضال سيجري، عصام عبه جي، ندين تحسين بيك، ضحى الدبس، ميلاد يوسف، أمية ملص، نسرين الحكيم، صفاء سلطان، هيثم جبر، رجاء يوسف، جهاد عبدو، وآخرون.

تستعد لـ«خلطة فوزية» بعد عيد الفطر مباشرة

إلهام شاهين: أعشق البطولات الجماعية أما البطولات الفردية فأنا أنافس نفسي!

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من عمر صادق:

ليس المهم ان يذاع مسلسل «أحلام لا تنام» على القنوات الأرضية أو الفضائيات، المهم عندي ان الجمهور ينتظر أعمالي في رمضان ويجد فيها ما يبحث عنه من مصداقية وبالتالي فلست حزينة لأن المسلسل لا يذاع على القنوات الأرضية أو غيرها، بهذه الكلمات بدأت الفنانة إلهام شاهين حديثها، وقالت بإنها تقرأ حاليا سيناريو فيلم «خلطة فوزية» تأليف هناء عطية تمهيدا لتصويره بعد عيد الفطر المبارك مباشرة، الفيلم كما تقول إلهام اخراج مجدي أحمد علي ويشاركها البطولة هشام سليم ولبلبة وهالة صدقي وعزت أبو عوف وصلاح عبدالله وحجاج عبدالعظيم ورفضت الافصاح عن الموضوع أو القضية التي يتناولها.

■ مسلسل «أحلام لا تنام» الذي يذاع حاليا تلعبين فيه شخصية امرأة شريرة، هل هذه أو مرة تلعبين هذا اللون، وهل هناك محاذير قبل اختيارك لهذا الدور؟

■ «أحلام لا تنام» لم يكن أول مرة ألعب فيها أدوار الشر ولن تكون الأخيرة وما دمت أنادي بتجدد أدواري وشخصيتي فأنا سوف اطرق أبواب كل الأدوار ولن أتوقف عند دور بعينه وبصراحه لا توجد أي محاذير أو نصائح تلقيتها من أصدقائي وصديقاتي حول اختياري لهذا الدور.

■ في فيلم «أيام الغضب» كانت مساحة دورك صغيرة، هل هذا يقلل من نجوميتك؟

■ مساحة الدور لا تشغلني ولا أفكر فيها البتة بدليل ان هذا الفيلم ـ أيام الغضب ـ حصلت فيه على 3 جوائز مهمة من مهرجانات داخل مصر وخارجها ورغم صغر المساحة التي ظهرت فيها وكذلك فيلم «موعد مع الرئيس» كان دورا صغيرا ومع ذلك حقق نجاحا كبيرا، مساحة الدور ليست مهمة، المهم تأثيره وماذا يقول للجمهور.

■ تركيزك الأخير على الشاشة الصغيرة فسره البعض على انه هروب من السينما؟

■ لا أعتقد هذا ولا أتعامل مع الموضوع بهذه النظرة وأنا لم أهرب من السينما بدليل انني سوف أصور أحدث أفلامي «خلطة فوزية» عقب انتهاء عيد الفطر مباشرة.

■ نشاطك الفني اصبح اكثر تكثيفا وتركيزا في الشاشة الصغيرة عن السينما وبخاصة في شهر رمضان، بماذا نفسره؟

■ لا اتصور انني اعطي للشاشة الصغيرة كل جهدي ووقتي، أو العكس، انما يهمني في المقام الأول النص الجيد بصرف النظر عن أشياء أخرى فلو عثرت عليه في التليفزيون مثلا سوف أركز فيه والعكس صحيح.

■ هل أنت مع مقولة أن التليفزيون يحرق نجوم السينما إذا ما فكروا في العمل فيه؟

■ التليفزيون لا يحرق نجومية أحد، والعمل فيه يمثل متعة لكل الأجيال وإضافة للفنان بدليل حرص معظم نجوم السينما على العمل في الدراما التليفزيونية، بصراحة مقولة أن التليفزيون يحرق نجومه لا أوافق عليها وأحس انها تستفزني لأن المعادلة الصحيحة هي أن التليفزيون يعمل على تلميع النجوم أكثر وليس حرقهم.

■ بعد اعلان حذف مسلسل «أحلام لا تنام» من خريطة العرض على القنوات الأرضية حيث ينتظرك جمهورك الغفير في مصر، كيف استقبلت الأمر؟

■ عادي جدا، المسألة اليوم أصبحت مألوفة سواء عرض المسلسل على الفضائيات أو الأرضيات، المهم انه يذاع ويراه الناس، ولا تفرق معي حكاية ان المسلسل يذاع بالفضائيات أو أن هذا معناه حرمان جمهور مصر من مشاهدته، الفضائيات أصبحت تقرب المسافات والعالم تحول الآن الى قرية صغيرة «الخبر» مثلا يحدث في الهند وفي لحظة واحدة يطير الى واشنطن أو باريس أو بيروت ويعلم به سكان الكرة الأرضية فور حدوثه، ايه المشكلة بقى؟!

■ معروف انك من الفنانات التي ترفع شعار التجديد واختيار الأعمال بدقة، منذ متى بدأت هذه المهمة؟

■ من أول يوم وطأت قدمي الوسط الفني، وبنظرة سريعة على الأعمال التي قدمتها وقيمتها الفنية على المستوى الجماهيري سوف تكتشف موقعي من هذه الأعمال فقد قدمت للتليفزيون كثيرا من الأعمال الناجحة مثل «الحرافيش» و«ليالي الحلمية» و«البراري» و«الحامول» و«نصف الربيع الآخر» و«بنات افكاري» و«الحاوي» وغيرها وفي السينما قدمت فيلم «الهلفوت» في بداية حياتي ثم «العار» و«أرض الغضب» و«لحم رخيص» و«سوق المتعة» وغيرها.

■ برغم من مئات هذه الأدوار، هل تنحازين الى البطولات الفردية أم الجماعية؟

■ البطولات الجماعية تسعدني وخاصة التي قدمتها مع زميلاتي ميرفت أمين وليلى علوي.

■ لماذا؟

■ البطولات الجماعية معناها وجود منافسة بين أكثر من بطلة للوصول الى أعلى فورمة في الأداء وهذا يصب في صالح العمل الفني ذاته والجمهور بالطبع، أما البطولات الفردية فان البطلة تنافس نفسها فقط وأنا بطبعي أعشق المنافسة دائما وأسعى للفوز في أكثر الأحيان.

■ من لفت نظرك في رمضان هذا العام من النجوم الكبار؟

■ نور الشريف في «حضرة المتهم أبي» ويحيى الفخراني في «سكة الهلالي» وحسين فهمي في «مواطن بدرجة وزير».

■ تردد ان معظم الاعمال الدرامية في رمضان تتشابه مع بعضها ربما في الأحداث أيضاً؟

■ غير صحيح ولم ألحظ هذا الأمر، وكل مسلسل له شخصيته وموضوعه والقضية التي يطرحها وهناك تنوع كبير واختلاف الهدف والمضمون لكل مسلسل.

الهام شاهين في مشهد من مسلسل «احلام لا تنام»

في مهرجان المسرح الآخر الـ 27:

الخالة فريدة هي الأفضل وممثلة ممتازة تخرج من العرس الغجري!

عكا ـ من أسامة مصري:

مساء يوم الأربعاء الماضي اقفل مهرجان المسرح الآخر الـ 27 أبوابه، الذي زاره خلال (4) أيام أكثر من (250) ألف شخص، ويقول مدير عام المهرجان ألبرت بن شلوش: ان هذا المهرجان هو الأنجح منذ توليه إدارة هذا المهرجان، فقد بيع (90,9 %) من التذاكر المعروضة للبيع وعددها (15) ألف تذكرة، وقد تم تقديم (350) عرض لـ (45) عملا فنيا مختلفا، بينها عروض المسابقة الرسمية، وعروض الشوارع، وعروض الضيوف من البلاد وخارجها.

وقد منحت لجنة التحكيم، التي كان الفنان العربي غسان عباس أحد أعضائها، الجائزة الأولى لمسرحية «الخالة فريدة»، وقدرها (45) ألف شاقل.. ولم تحصل مسرحية «العرس الغجري» التي قادها فنانون عرب، سوى على جائزة «الممثلة المتميزة» للفنانة حايا برشنسكي.

وكان من الملاحظ جداً غياب معظم الفنانين العرب عن حضور المهرجان، وكأن المهرجان لا يمت إليهم بصلة، رغم ان التجار وأصحاب البسطات والمطاعم العرب من سكان عكا، كانوا من المسيطرين على الشارع الرئيسي للمهرجان.

ومن الملفت للنظر أيضاً، ان جميع العروض في هذه السنة، التزمت بمبدأ المسرح الآخر، وهو عدم تقديم مسرحيات كلاسيكية تقليدية، إلى أبعد حد، وكان أبرزها في هذا المضمار مسرحية «العرس الغجري».

تكريم المخرج مازن غطاس

وضمن نشاطات المهرجان أقيم يوم خاص لتكريم المخرج المسرحي الراحل، مؤسس مسرح «اللاز» الفنان مازن غطاس.. وقد برزت مشاركة جدية من الجمهور اليهودي في الندوتين اللتين عقدتا في قاعة بستان الباشا في عكا القديمة بهذه المناسبة.

تولى عرافة الندوة الاولى ايتسيك فاينغرتن وكانت بعنوان «المسرح الآخر آمال واهداف»، شارك فيها الاعلامي زهير بهلول ورئيس بلدية عكا لانكري وعدد من منظمي المهرجان وفاتن غطاس شقيق المرحوم مازن غطاس.

والقت د. دوريت يروشلمي المحاضرة في جامعة تل ابيب كلمة في ذكرى الراحل اشارت من خلالها الى الفراغ الذي تركه الفنان مازن غطاس والخسارة التي يشعر بها كل من عرفه.

وتولى عرافة الندوة الثانية البرفيسور شمعون ليفي بمشاركة عدد من الفنانين.

من مسرحية «الخالة فريدة» (القدس العربي)

فضائيات

تخفي سبب الصراع الحقيقي:

معارك اعلامية بسبب الحجاب

هويدا طه*

■ لا تعرف بالضبط من منهم هو اللاهث وراء الآخر.. الاعلام يطارد قضية الحجاب لأنها قضية مثيرة.. أم (أصحاب الحجاب) دعوة وزيا هم من يوظفون الاعلام؟ أم أن الناس محاصرون بكليهما؟! هذا الأسبوع اشتدت فيه بامتياز حمى المعارك الاعلامية حول الحجاب على مستوى دولي! من بريطانيا الى تونس الى الدانمارك الى مصر وغيرها، وعندما تكون متابعا لكل ما يمكن متابعته من معالجات اعلامية لقضايا وطنك بل وعالمك، فانك غالبا ما تكون قد شعرت هذا الأسبوع بأنك (محاصر) بتلك المعركة الاعلامية حول الحجاب.. في السيارة تستمع الى الاذاعة تناقش الأمر وفي المنزل والعمل تشاهد التليفزيون وتقرأ الجرائد ومواقع الانترنت.. كل وسائل الاعلام تعرض تفاصيل أحداث ومواقف هذا (الاشتباك العالمي). جاك سترو طلب من مسلمات بريطانيا رفع النقاب عن وجوههن حتى يرى وجها لوجه من يتناقش معها.. الحكومة التونسية تشن حملة لاثناء التونسيات عن انجرافهن مع دعوات عودة المرأة التونسية الى الحجاب.. الشارع المصري الذي أصبح من النادر أن ترى فيه سيدة أو فتاة أو حتى طفلة غير منقبة.. مشغول باتهام التليفزيون المصري بتعمد تجاهل مسلسلات (الفنانات التائبات العائدات لما تبن عنه.. لكن بالحجاب!).. صورة فوتوغرافية ذات مغزى انتشرت في البريد الالكتروني لسائح خليجي، وهو راكع في ميدان في لندن ممسكا بكاميرا وأمامه حريمه الأربع.. لا يُرى من سواد ملابسهن شيئاً على الاطلاق حتى الأيادي والعيون.. يقفن أمامه في وضع استعداد لالتقاط صورة! لا مفر اذن من متابعة جولات تلك المعركة لا بحثا عن التفاصيل وانما نبشا وراء الجذور، في اذاعة «بي بي سي» كان هناك تقرير عن الجدل الذي أحدثته تصريحات سترو حول النقاب.. قال التقرير ان مسيحية بريطانية تحتج بدورها على منعها من العمل في خطوط الطيران البريطانية لأنها لا تخفي الصليب المعلق في رقبتها.. وان السجال يحتدم في بريطانيا حول ما يسمى (الرموز الدينية) وليس الحجاب أو الصليب فقط، وعلى قناة الجزيرة تناول برنامج أكثر من رأي نفس القضية.. نقاب المسلمات البريطانيات.. واستضاف مسؤولا من الخارجية البريطانية وسيدة بريطانية من أصل عربي ترتدي بياضا على جسدها كله بما فيه وجهها.. فلم يبد منها الا جزء من عينيها اللتين غاب منهما الجزء الأكبر مع باقي وجهها تحت النقاب.. بينما تناول برنامج ما وراء الخبر ما سُمي حملة الحكومة التونسية ضد تنامي ظاهرة التونسيات العائدات الى الحجاب.. وفي جرائد عديدة تتهم قناة روتانا بأن نجمتها هالة سرحان تستضيف الكاسيات العاريات وتسخر من المحجبات المحتشمات المعتصمات بحبل الدين.. وفي قنوات أوربت ودريم و.. و.. أينما تولوا الريموت كنترول ثمة نقاش حام حول الحجاب!.. من منهما يوظف الآخر؟ الاعلام يلهث وراء الاثارة في قضية الحجاب أم (أصحاب الحجاب) هم من امتطوا ظهر بعير الاعلام لارسال الدعوة الى العالمين؟!.. لكن مهلا.. هل قطعة القماش تلك هي حقا سبب هذا الاشتباك العالمي.. أم أنه سبب أبعد من مجرد السجال حول (مدى خطورة) ظهور شعر المرأة على القيم الانسانية؟

صراع على الموارد باسم الدين والقيم

■ المعركة تدور ـ ظاهريا ـ بين طرف يدافع عن (الحق الشخصي للمرأة في أن تتحجب) وطرف يرفض (الاستخدام المفرط للحجاب) للتعبير عن موقف سياسي اجتماعي مما يمور به العالم الآن من فوضى القيم.. في صراع عالمي يشتد باسم الديانات تارة والحضارات تارة أخرى، هذا هو ظاهر (الحرب العالمية الثالثة) الدائرة حول الحجاب! لكن كما كل الحروب.. دائما ما يكون السبب المباشر فيها شيئا يخفي السبب الحقيقي (المسكوت عنه).. نشبت (حرب البسوس) ودامت أربعين عاما بين قبائل الجزيرة العربية منذ قرون حول (مقتل ناقة) بينما كان هناك السبب الدائم للحروب.. والذي لم يُفصَح عنه أبدا في بدء أي حرب انسانية.. وهو (الصراع على الموارد).. ونشبت حرب عالمية في مطلع القرن العشرين بسبب (جريمة قتل) وريث العرش النمساوي على يد شخص صربي.. ثم شاركت في الحرب أحلاف وكتل عالمية بمن فيها حتى من لم يسمعوا بالقاتل أو القتيل ولا يعنيهم في الأصل بلد أي منهما.. وكان السبب كذلك هو نفسه السبب الخفي (الصراع على الموارد)، ونشبت الحرب العالمية الثانية باسم الدفاع عن بولندا من غزو الألمان.. بينما شاركت فيها أمم لا ناقة لها ولا جمل في تلك البولندا.. وكان السبب الخفي كذلك هو ذاك (الصراع على الموارد)، كل تلك الحروب الدموية الوحشية كانت مقدمتها جميعا حرب (اعلامية) تعطي الغوغاء سببا قيميا وجيها .. تندلع باسم تلك الأسباب السطحية في البداية ثم ينسى المتحاربون مع تأجج المعارك الأسباب التي اندلعت باسمها حروبهم، الآن.. تتأجج ـ حرب اعلامية بدعوى (الحق في الحجاب) ـ مخفية نفس السبب الحقيقي فيما نظن.. الصراع على الموارد بين الشرق والغرب، غرب متقدم بالسلاح جشع في طموحه لاقتناص موارد الضعفاء.. ويستخدم ـ كذبا ـ (قيم التحرر) غطاء لأطماعه في موارد الشرق التي ما زالت بعد خاما.. وشرق يستخدم أسلحة (غيبوية) في مقابل ادعاءات الغرب عن قيم التحرر.. وأبرز تلك الأسلحة الغيبوية التي تعتمد على مفاهيم دينية.. هو أن المرأة شر.. جسدها شر.. شعرها شر، (قطعة القماش) تلك على رأس (ووجه وعيني ويدي المرأة المسلمة) هي نظير ناقة حرب البسوس ووريث العرش النمساوي.. سبب علني تافه يمهد على مدى زمني طويل لحرب ضروس على الموارد.. هذه المرة الاعلام أكثر انتشارا وتقدما وفاعلية في عملية التمهيد طويلة الأجل.. وكل الأطراف تقريبا قادرة على استخدامه، لكن عودة مرة أخرى الى الحجاب، وعلى مستوى المجتمع بعيدا عن مستوى الصراع بين الشرق والغرب.. ما الحجاب؟!

الحجاب تمرد على الفشل

■ الحقيقة أنه ورغم أن كاتبة هذا المقال لن تضع أبدا قطعة القماش تلك على رأسها حتى ولو وضعته كل نساء العالمين.. الا أن الحجاب يبدو – بغض النظر عن الموقف منه ـ شكلا من أشكال (التمرد).. لا تمارسه النساء المتحجبات فقط.. وانما هو حتى شكل من أشكال التمرد عند هؤلاء الرجال (المهووسين) بتحجيب المرأة وكأن طمس رأسها هو الحل لمشاكل عجزوا عن حلها بطرق أخرى! تتمرد المرأة التونسية على ديكتاتورية نظام الحكم في بلدها بضربه في (أكبر مفاخره).. وهو المكتسبات التي أقرتها الدولة التونسية عبر العقود الماضية للمرأة دون غيرها من سائر بلدان المسلمين.. وكأنها تتمرد بطريقة (عليّ وعلى أعدائي)! ويتمرد الرجل التونسي سياسيا واجتماعيا باستخدام الأداة الأكثر يسرا التي وفرها له الاسلام وهي المرأة.. التي تُحملها دعاوى الاسلاميين مسؤولية كل الشرور، وتتمرد المرأة المصرية على فقرها بذلك النقاب الأسود الذي يخفي حرمانها عن كل العيون.. حتى لو كان في تلك الخيمة السوداء التي تتحرك بها اهانة لكرامتها وانسانيتها.. هي أصلا امرأة مُهانة على كل صعيد فلا جديد! ويتمرد الرجل المصري على (انهزاميته وعجزه وفشله في كل الميادين) بتحقيق الانتصار على العدو السهل الذي وضعته بين أيديه تيارات الاسلامويين في بلده.. المرأة.. التي يمعن في تشويهها بهذا الرداء الكريه وينتشي باستجابتها العمياء لتلك البلوى.. فيحقق انتصارا أخفق في تحقيقه على أي صعيد آخر، وتتمرد دول العالم المتخلف على ضعف حيلتها أمام غطرسة الغرب المتقدم بتحديه بما يسمى قيمها وخصوصيتها.. فلا يتوفر التحدي الا من الزاوية الأضعف والأسهل والتي لا تكلف جهدا ولا بحثا ولا مالا ولا قوة.. قهر المرأة، يتمرد المهاجرون والمهاجرات المسلمون والمسلمات في بلاد الغرب على فشلهم في الاندماج مع مجتمعاتهم الجديدة.. وفشل مجتمعاتهم الجديدة في استيعابهم ودمجهم.. باخافتها بهذا الزي الذي يخفي مشاعر الكراهية لأهل الدار.. ولعله خوف جاك سترو هو ما دفعه للاصرار على رؤية وجه محاورته المنقبة! لكن بئس هذا التمرد الذي لا يصب الا على (رأس المرأة)! نعم.. الحجاب اهانة لآدمية المرأة كما العُري اهانة رخيصة لها، واذا كان اخفاق الرجل المسلم في تحقيق أي شيء له قيمة في العالم دفعه لركوب أسهل المطايا في ثقافته، فان (غياب وعي) المرأة المسلمة وترسخ (نفسية الجارية) في أعماقها على مدى مئات السنين هو ما يجعلها تستجيب لهذه الاهانة، بل وتدافع عنها باستماتة!

الحجاب قضية سياسية واجتماعية وتاريخية وليس مجرد (حق شخصي).. حتى كلمة (حق شخصي) هي ذاتها تعبر عن مفهوم لا يعترف به الاسلامويون! لا تعترف أفكارهم المتحجرة بما سمي (حرية الفرد) فلا فرد حرا لديهم.. فالكل (عبيد) الله.. والنساء كلهن (اماء) الله! واذا كان الهدف من الحجاب (نظريا) هو الاحتشام.. فالغالبية الساحقة من النساء (في مصر مثلا) وعلى مدى قرون كن محتشمات بأزيائهن الريفية أو حتى هؤلاء المدنيات من بنات الطبقة الوسطى.. وحتى هذه اللحظة ورغم رفض بعضهن لقطعة القماش المهينة تلك فانهن لا يرضين ابتذال أجسادهن بالعُري.. لأن عُري الجسد كما تغطيته.. مهين، كذلك كانت النساء عموما في مصر حتى أوائل السبعينات.. تلك السبعينات التي بدأت معها في مصر كل تجليات اخفاق الرجل المصري في كل المجالات.. فصب هوسه على المرأة المصرية التي بدورها أخفقت في أن (تعي انسانيتها) فانساقت وراء (رواسب الجارية الكامنة في أعماقها)، حتى أن محمد أبو الفتوح وهو من أقطاب الاخوان المسلمين وفي ندوة بثتها قناة الجزيرة مباشرة منذ فترة.. عبّر عن (انتصاره) بقوله: «عام 68 كنت هنا ولم تكن هناك امرأة محجبة واحدة.. انظروا الآن يا اخواني الى نصر الله المبين.. كل نساء القاعة محجبات وشوارع المدينة عامرة بالمحجبات.. الحمد لله»!

الحجاب تمرد نعم.. ولكنه تمرد اليائسين واليائسات.. ليس هذا هو التمرد الذي يدافع عن الموارد وليس هذا هو التمرد الذي يدفع الأمم الى الأمام.. بل هو تمرد يحتاج الى.. التمرد عليه!

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات